بكل فن وبكل مقصد   بالجد إن أجدى وإلا بالدد

لتجلب الرشح إلى الخلف الصدي   وتنفد العمر بعيش نكد

والموت من بعد لنا بالمرصد   إن لم يفاج اليوم فاجى في غد

فقال له القاضي لله درك ما أعذب نفثات فيك وواهاً لك لولا خداع فيك وإني لك لمن المنذرين وعليك من الحذرين فلا تماكر بعدها الحاكمين واتق سطوة المتحكمين فما كل مسيطر يقيل ولا كل أوان يسمع القيل فعاهده الشيخ على اتباع مشورته والازدجار عن تلبيس صورته وفصل عن حضرته والختر يلمع من جبهته قال الحرث بن همام فلم أر أعجب منها في تصاريف الأسفار ولا قرأت مثلها في تصانيف الأسفار

المقامة التاسعة وتعرف بالإسكندرية

قال الحرث بن همام طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب إلى أن جبت ما بين فرغانة وغانة أخوض الغمار لأجني الثمار وأقتحم الأخطار لكي أدرك الأوطار وكنت لقفت من أفواه العلماء وثقفت من وصايا الحكماء أنه يلزم الأديب إذا دخل البلد الغريب أن يستميل قاضيه ويستخلص مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام ويأمن في الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الأدب لي إماما وجعلته لمصالحي زماما فما دخلت مدينة ولا ولجت عرينة إلا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح وتقويت بعنايته تقوي الأجساد بالأرواح فبينما أنا عند حاكم الإسكندرية في عشية عرية وقد أحضر مال الصدقات ليفضه على ذوي الفاقات إذ دخل شيخ عفرية تعتله امرأة مصبية فقالت أيد الله القاضي وأدام به التراضي إني امرأة من أكرم جرثومة وأطهر أرومة وأشرف خؤولة وعمومة ميسمي الصون وشيمتي الهون وخلقي نعم العون وبيني وبين جاراتي بون وكان أبي إذا خطبني بناة المجد وأرباب الجد سكتهم وبكتهم وعاف وصلتهم وصلتهم واحتج بأنه عاهد الله تعالى بحلفة ألا يصاهر غير ذي حرفة فقيض الله لنصبي ووصبي أن حضر هذا الخدعة نادي أبي فأقسم بين رهطه أنه وفق شرطه وادعى أنه طالما نظم درة إلى درة فباعهما ببدرة فاغتر أبي بزخرفة محاله وزوجنيه قبل اختبار حاله فلما استخرجني من كناسي ورحلني عن أناسي ونقلني إلى كسره وحصلني تحت أسره وجدته قعدة جثمة وألفيته ضجعة نومة وكنت صحبته برياش وزي وأثاث وري فما برح يبيعه في سوق الهضم ويتلف ثمنه في القضم والخضم إلى أن مزق حالي بأسره

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)